[حكاية عجيبة رواها الزَّنجاني عن أبي إسحاق الشِّيرازي] حكى لي القاضي[١] أبو الطَّيِّب الطبري، قال: كنا في حلقة النظر يوم الجمعة بجامع المنصور، فجاء شابٌّ خُرَاسانيٌّ، فسأل مسألةَ المُصَرَّاة وطلب الدَّليل، فاحتجَّ المُستَدِلُّ بحديثِ أبي هريرة، فقال الشَّابُّ وكان حنفياً: أبو هريرة غيرُ مقبولِ الحديث، قال: فما اسْتَتَمَّ كلامه حتى سَقَطَتْ عليه حيةٌ عظيمة من سَقفِ الجامع، فوثَبَ النَّاس من أجلها، وهَرَبَ الشَّابُّ منها وهي تَتْبَعُهُ، فقيل له: تُبْ، تُبْ. فقال: تُبْتُ. فغابتِ الحيَّةُ، فلم يُرَ لها أثر!

[قلت: ولا بد من ذكر مسألة المُصَرَّاة، فأقول: إذا صُرَّ ضَرْعُ شاةٍ حتى اجتمَعَ لَبَنُها، فظنَّها المشتري غزيرةَ اللَّبَن، ثم ظَهَرَت بخلافه لا يستحقُّ ردَّها عند أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد يردُّها ويَرُدُّ معها صاعاً من تمر، ويمسك لَبَنَها، واحتجَّ الشافعي بما روى أبو هريرة][٢]: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنِ اشتَرَى مُصَرَّاة فهو بخير النَّظَرَيْنِ بعد أن يَحْلُبَها، إنْ رَضِيَها أمسَكَها، وإنْ سَخِطَها رَدَّها وصاعاً من تَمْر» متفق عليه[٣] [وقياساً على سائر العيوب، ولأبي حنيفة: إنَّ فَسْخَ العَقدِ [فيه][٤] تفويتُ حَقّ البائعِ من غيرِ رِضاه، والنُّصوص والأصول تأباه. وأما حديثُ أبي هريرة، فأبو هريرة لم يكن من فُقهاء الصَّحابة، وقد أنكر عليه عمرُ بنُ الخطَّاب كَثرَةَ الرِّواية، ونهاه عن الحديث، وقال: لئن عُدْتَ فَعَلتُ وفَعَلتُ، وكذا أنكر عليه ابنُ عباس وعائشة أشياء][٥].

السَّنة الحادية والخمس مئة

فيها في المُحَرَّم جَدَّد الخليفةُ الخِلَع على وزيره أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المُطَّلب، وشافهه بالوِزَارة[٦].

---

(١) في (ع) و(ب): وروى عن أبي إسحاق الشيرازي، قال: حكى لي القاضي. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): والمصراة أن يصر ضرع الشاة حتى يجتمع لبنها، فيظنها المشتري غزيرة اللبن، ثم يظهر بخلاف ما ظن، وحديث أبي هريرة... وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥١)، ومسلم (١٥٢٤) (٢٦)، وهو عند أحمد في «المسند» (٧٣٨٠) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: والخلاف في هذه المسألة قديم، وقد قبل الأئمة حديث أبي هريرة، وليس هذا الموضع مكان بيان ذلك.

(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥.

و[فيها][(١)] في ربيع الآخر، دَخَلَ السُّلْطان محمد شاه بغداد، واصطاد في طريقه صَيْداً كثيراً، وبَعَثَ إلى الخليفة أربعين ظَبْياً على أربع جمَّازات[(٢)]، وكان [على][(٣)] الظِّباء وَسْمُ السُّلْطان مَلِك شاه، فإنَّه كان يَصِيْدُ الغِزلان، فَيَسِمُها ويُطْلِقُها[(٤)].

وبعَثَ الخليفةُ وزيرَه أبا المعالي إلى محمد شاه يهنِّئُه بقدومه، وحمَلَ معه شيئاً من ملابس الخليفة، ومجلداً بخطِّ الخليفة يشتمل على أدعيةٍ عن جدِّه العَبَّاس، فقام السُّلْطان، ودعا للخليفة وشكره.

وخَرَجَ السُّلْطان من داره، ومضى إلى مشهد أبي حنيفة، واجتمع الفقهاء والعلماء على باب المَشهد، فقال للحاجب: قل لهم: هذا يوم قد عَزَمتُ فيه على الانفراد مع الله تعالى، فخلُّوا بيني وبينه. وأمر بغَلْقِ الأبواب ومَنْعِ الأمراء وغيرِهم من الدُّخول، وأقام يصلِّي ويدعو ويخشع، وأعطاهم خمس مئة دينار، وقال: اصرفُوها في مَصَالحكم.

وسَلَك الطَّريق [السليم، والصِّراط][(٥)] المستقيم؛ فمن ذلك أنه مَرِضَ عشرةٌ من غِلْمانه الصِّغار، فَبَعَثَ بهم المتولِّي لأُمورهم إلى المارَسْتان العَضُدي، فلمَّا عَلِمَ أنكر ذلك، وبعث بمئة دينار، وقال: تُصرف في مصالح المارَسْتان[(٦)].

ومنها أنه خَرَجَ يوماً فرأى على بابه أربع مئة من الفُقَراء، فأمر بكِسْوَتهم جميعاً.

ومنها أنَّه أمر مناديه، فنادى: لا يَظْلِمَنَّ أحدٌ أحداً، ولا ينزِلَنَّ أحدٌ في دار أحد. ولقد جاء بعضُ غِلْمان الأتراك إلى بَيْدَرٍ لبعضِ الضِّياع فيه تِبْنٌ، فقال: بيعوني عِلاقة تِبْنٍ. فقالوا: التِّبْنُ ما يباع، هو مبذولٌ للصَّادر والوارد، فَخُذ منه ما أحْبَبْتَ. فأبى، وقال: ما كنتُ لأبيعَ رأسي بمِخْلاة تِبْن، فإن أخذتم ثمنه، وإلا انصرفت. فباعوه بما طَلَبَ[(٧)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الجمازات جمع، مفردها جمازة، وهي مركب سريع يتخذه الناس، شبه العجلة التي تجرها الخيل، ويقال للناقة كذلك جمازة. انظر «المعجم الوسيط»: ١/ ١٣٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في هامش (ب) ما نصه: «كان السلطان محمد شاه رحمه الله عادلاً عابداً، عالماً خيّراً ديناً، رؤوفاً رحيماً، متمسكاً بأحكام الشريعة غير أنه كان غضوباً سيئ الخلق مع هذه الخلال الحسنة، رحمه الله».

(٧) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

[فصل: وفيها قتل صدقة ابن مزيد صاحب الحلَّة، وسنذكره][(١)]

وفيها ولّى الخليفة القاضي أبا العَبَّاس ابن الرُّطَبي[(٢)] حِسْبة بغداد، وعَزَلَ عنها أبا سَعد ابنَ الحُلْواني[(٣)].

وفي رمضان عُزِلَ الوزير ابن المُطَّلب، ثم أعيد.

وعُزِلَ أبو جعفر ابنُ الدَّامَغاني عن حِجْبة الباب، واستُنيب أبو العِزّ المُؤَيَّدي[(٤)].

وفيها ظَهَرَتْ ببغداد صبيَّةٌ عمياء تتكلَّمُ على أسرار النَّاس، فكانت تُسأل عن نقوش الخواتيم وما عليها، وألوان الفُصوص، وصفاتِ الأشخاص إلى غير ذلك. [فأشكل هذا على العلماء والفُقَهاء والخواصِّ والعَوَام حتى قال عليُّ بنُ عَقِيْل[(٥)] الحَنبلي: ليس في هذا إلا أنه خصيصة من الله سبحانه كخواص النَّبات والأحجار، فَخُصَّتْ هذه بإجراء ما يَجرِي على لسانها من غيرِ اطِّلاع على البَوَاطن[(٦)].

قلت: وأينَ ما يدَّعيه ابنُ عقِيْل من الغَوْصِ على الدَّقائق، والوقوفِ على الحقائق، فإنَّا قد رأينا مثل هذا كثيراً، يَقِفُ إنسانٌ من بعيد، ويوقف صبيًّا بعيداً عنه، فإذا جاء إنسانٌ إلى الرَّجل، فَيُسِرُّ إليه بِسِرٍّ، فيصيح الرجل بالصَّبي: يا بيان، فيقول: نعم، فيقول: ما تقول في كذا وكذا؟ فتارةً يصيبُ، وتارة يخطئ، وإنما يدرك الصَّبيُّ ما يدرك بمطابقةٍ بينه وبين الرَّجل بإشاراتٍ وحروف معروفة، والدَّليلُ عليه أنَّهم لما ذَكَرُوا هذه الصَّبيَّة قالوا في أثناء قِصَّتها: قد ثَبَتَ بالتَّواتر أنَّ جميعَ ما تتكلَّم به لابُدَّ من مشاركةِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ).

(٣) في النسخ الخطية: «أبا سعيد»، وهو تحريف، وأبو سَعْد هو يحيى بن علي بن الحسن الحلواني، كان من أئمة الفقهاء الشافعية، ولد سنة (٤٥٠ أو ٤٥١)، وأرسله المسترشد إلى الخاقان محمد بن سليمان صاحب ما وراء النهر، فتوفي بسمرقند سنة (٥٢٠هـ). انظر ترجمته في «الأنساب» للسمعاني: ٤/ ١٩٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق مج ١/ ج٣/ ٥٥ ـ ٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٧.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥١٣هـ).

(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

أبيها في ذلك، فيقول: ما تقولين في يد فلان؟ وما الذي قد جاءه فلان، أو هذا الرجل؟ فتجيبُ على مِقدار ما اتَّفقا عليه من التَّراجم، أو يكون من باب السِّحْر، وليس من باب الكرامات، لأنَّ شرائِطَ الكرامات مَعْروفةٌ](١).

وفيها(٢) سار بغدوين إلى ظاهر صور، ونزل قريباً منها، وشَرَعَ في بناء حِصن على تلِّ المعشوقة، وأقام شهراً، فقاطَعَه والي صور على سبعة آلاف دينار، فأخذَها ورَحَل(٣).

وفي شعبان اشتدَّ الأمرُ بفخر المُلْك صاحِبِ طَرَابُلُس من مجيء الفرنج وتمادي العساكر إليه(٤)، فخَرَجَ من طَرَابُلُس في خمس مئة فارس وراجل، ومعه هدايا وتُحَف أعدَّها للخليفة والسُّلْطان، فجاء إلى دمشق، ونزل بظاهرها، والتقاه طُغْتِكِين، وأكرمه وخَدَمَه، وحَمَلَ إليه الهدايا والألطاف، وكذا جميع الأمراء، وكان لمَّا خَرَجَ من طَرابُلُس استناب ابنَ عَمِّه أبا المناقب ووجوه أصحابه في حِفْظها، وأطْلَقَ لهم واجبَ سِتَّةِ أشهر، واستَحْلَفَهم وتوثَّق منهم، فعصاه ابنُ عمه، وأظهر شِعار الأفضل(٥)، وعَلِمَ فخرُ المُلْك، فكتَبَ إلى أصحابه يأمرهم بالقَبْضِ عليه، وحَمْلِهِ إلى حِصن الخوابي، ففعلوا به ذلك.

وسار فَخرُ المُلْك إلى بغداد ومعه تاجُ الملوك بُوري بن طُغْتِكِين، وكان جماعةٌ ممن يَحسُدُ طُغْتِكِين قد سَعَوا به إلى السُّلْطان ليُفْسِدُوا حاله عنده، فأصَحَبَ ولدَه من الهدايا والتُّحَف والخيول والثِّياب وغير ذلك مما يحسن إنفاذه، واسْتَوزَرَ له أبا النَّجم هبة الله ابن محمد بن بديع الذي كان مستوفياً لتاج الدَّوْلة(٦)، وجَعَله مُدَبِّراً لأمره، وسفيراً بينه وبين مَنْ أُنفذ إليه، وتوجَّها في رمضان، فلما وصلا بغداد لقي فخر المُلْك من السُّلْطان من الإكرام والاحترام ما زاد على أمله، وتقدَّم إلى جماعةٍ من أكابر الأمراء بالمسير معه لمعونته وإنجاده، وأمَرَهُمْ بالإلمام بالمَوْصِل، وانتزاعِها من يد جاولي سقاوة، ثُمَّ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م): فصل وفيها.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٤) كذا في النسخ (ع) و(ب)، وعند ابن القلانسي: «وتمادي الترقب لوصول الإنجاد، وتمادي تأخر الإسعاد».

(٥) هو أمير الجيوش بمصر أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٥١٦هـ).

(٦) يعني تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان، وقد قتل سنة (٤٨٨هـ)، وسلفت أخباره ثمة.

المسير إلى طَرَابُلُس، وطال مقام فخر المُلْك طولاً ضَجِرَ معه، وعاد إلى دمشق في المحرّم سنة اثنتين وخمس مئة.

وأما تاج الملوك بُوري، فإنَّه لقي من السُّلْطان كل ما يَسُرُّه، وخَلَعَ الخليفةُ والسُّلْطان عليه، وعاد إلى دمشق [في آخر ذي الحجة.

ولما عاد ابنُ عمار إلى دمشق][1]، وأقام بها أياماً سار إلى جَبَلَة، فدَخَلها وأطاعه أهلُها، وأنفذ أهلُ طرابُلُس إلى الأفضل بمِصر يلتمسون إنفاذَ والٍ يَصِلُ إليهم في البحر ومعه الغَلَّة والميرة ويتسلَّم البلد، فبعث إليهم شَرَفَ الدَّوْلة بن أبي الطَّيِّب، فلما حَصَلَ بها؛ قبضَ على جماعةِ فخر الملك ابن عَمَّار وأصحابه وذخائره وأمواله، وبَعَثَ بها إلى مِصر[2].

وفيها خَرَجَ بغدوين من القُدْس، فنَزَل على صَيدا وضايقها، وجاء الأُسطول من مِصر، فَدَفَعَه عنها، فعاد إلى القُدس[3].

وفيها أغار طُغْتِكين على طبرية، وكان بها جرفاس مقَدَّم الفرنجية، وكان من أكبر الملوك، فخرج من طبرية، والتقوا، فَقَتَلَ أتابكُ منهم مَقتَلَةً عظيمة، وأسر جرفاس وخواصَّه، فَبَذَل في نفسه أموالاً عظيمة، فلم يَقْبَل منه، وبَعَثَ به وبأصحابه هديةً إلى السُّلْطان[4].

وفيها توفي

الحسين بن أحمد بن النَّقَّار، أبو الطَّاهر[5]

ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد، وقرأ الأدب، ثُمَّ انتقلَ إلى دمشق، ومات بها، وكان فاضلاً شاعراً، ومن شِعْره: [من السريع]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، و«الكامل»: ١٠/ ٤٢ ـ ٤٤.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٠، و«الكامل»: ١٠/ ٤٥٦.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٨ ـ ٢٥٩ أن طُغْتِكِين قتل جرفاس، وبعث بعض أصحابه الأسرى هدية للسلطان.

(٥) لم أقف على من ترجم له سوى ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٦، وقد استقى ترجمته من كتابنا «مرآة الزمان».

وزائـــرٍ زارَ عـــلـــى غَـــفْـــلَـــةٍ وقـد أمـاطَ الـصُّـبـحُ ثـوبَ الـظَّـلامْ
راحَ وقـــد سَـــهَّـــلَـــتِ الـــرَّاحُ مِـــنْ أخـلاقِـه مـا كـان صَـعْـبَ الـمَـرَامْ

حَيْدَرة بنُ أبي الغَنَائم[١] المُعَمّر[٢]، أبو الفُتوح العَلَوِي

نقيبُ الطَّالبيين ببغداد، كان عفيفاً، دَيِّناً، غَزِيرَ الأدب، حَسَنَ الصُّورة، أقام نقيباً اثنتي عشرة سنة، وعاش نيفاً وثلاثين سنة، وقام بعده أخوه أبو الحسن عليُّ بن أبي الغنائم.

صَدَقَةُ[٣] بنُ منصور بن دُبَيْس

ابن مَزْيَد، أبو الحسن، سَيْفُ الدَّوْلة، الأمير[٤]، صاحبُ الحِلَّة[٥]. كان كريماً، عفيفاً عن الفواحش، كأن عليه رقيباً من الصِّيانة؛ لم يتزوَّج على زوجتِه قَطُّ، ولا تَسَرَّى، ولم يشرب مُسْكراً قط، ولا سَمِعَ غناءً، ولا قَصَدَ التَّنَوُّق[٦] في طعامٍ، ولا صادرَ أحداً، وكان تاريخَ العَرَبِ والأماجد، وكانت دارُهُ ببغداد حَرَماً للخائفين، وملجأ للائذين.

ذِكْرُ مَقْتَلِه:

كان سُرْخاب الدَّيْلَمي الحاجب قد خاف من السُّلْطان [فاستجارَ به، فطلبه السُّلْطان][٧]، فامتنع من تسليمه، فحاربه، وكان مع صَدَقَة عشرون ألفاً، وسار إليه عَسْكَرُ السُّلْطان، والتقوا

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٥٨ ـ ١٥٩، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٢٨ وفيه وفاته سنة (٥٠٢هـ) ـ و«الجواهر المضية»: ٢/ ١٦٠.

(٢) في (ع) و(ب): بن المعمر، بزيادة «ابن»، والصواب حذفها، لأن أبا الغنائم هي كنية أبيه معمر.

(٣) في (م) و(ش): وفيها قتل صدقة.

(٤) في (م) و(ش): الأمير أبو الحسن الأسدي الملقب بسيف الدولة صاحب الحِلَّة.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٥٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج٤/ م١/ ١٦٣ ـ ١٦٩، و«أخبار الدولة السلجوقية»: ٨٠ ـ ٨١، و«الكامل»: ١٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤٩، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وانظر حاشيتنا رقم ٢ ص٥ من هذا الجزء.
وقد وهم العلامة محمد بهجة الأثري في وفاته، فجعلها سنة ٥٥١هـ انظر «الخريدة» ص١٦٥.

(٦) أي لم يجود ويبالغ فيه، من تنوَّق في الأمر بمعنى تأنق فيه، انظر «اللسان» (نوق).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

بعد صلاة الجمعة سادس رجب، فجعل صدقة ابنه دُبَيْس في الميمنة، ومعه سعيد بن حُميد في بني خَفَاجة وجماعةٌ من الأكراد، وفي مقابلهم من عسكر السلطان البُرْسُقي والسَّعدية، وفي مَيْسرة صَدَقة ابنُه بَدْران، ومعه عُبادة بأَسْرها، وفي مقابلتهم [من عسكر السُّلْطان][1] أحمديل وجماعةٌ من الأمراء، ووقفَ [سيفُ الدَّوْلة][1] صدقةُ في القَلْب، ومعه سرخاب الدَّيْلَمي، فَحَمَلَ البُرْسُقي، وثَبَتَتْ مَيْمَنتُه ومَيْسرتُه في أماكنها، وأما صَدَقةُ فوقعت خيله في الوَحَل [والماء والطين][1] وكان [قد][1] بَثَقَ[2] البثوق [في موضع يقال له ريفانيا][1] وتقاعد جماعةٌ من العَرَب عنه، فكشَفَ [صدقة][1] رأسه وصاح: يا آل خُزَيمة، يا آل ناشِرة، يا آل عَوْف، أنا حاج[3] الملوك، أنا ملكُ العرب، النار ولا العار، وقاتَلَ قتالاً شديداً، فَرَشَقَتْه العَجَمُ رشقةً واحدة، فَخَرَجَ منهم عشرةُ آلاف نُشَّابة، فجاءه سَهْمٌ فوقع في ظَهْرِه، وسقط إلى الأرض، فنزل غلامٌ من السَّعدية، فَحَزَّ رأسه ولم يَعرِفه، وانهزمَ أصحابُهُ وأُسر ابنُه دُبَيْس وسُرخاب الدَّيْلَمي [الذي كان سببَ الفتنة][1] وكانتِ القتلى من الفريقين ثلاثةَ آلافٍ وزيادة، وأُخذ من خيمة صدقة خمس مئة ألف دينار، وجواهر لها قيمة، وكان عمره سِتّاً وخمسين سنة، وإمارته اثنتي عشرة سنة، وحُمِلَ، فَدُفِنَ في مشهد الحسين عليه السّلام[4].

وقال ابنُ القَلانسي في سنة إحدى وخمس مئة: ورَدَتِ الأخبارُ بوصول عسكر السُّلْطان محمد إلى بغداد في آخر شهر ربيع الآخر، وأعلَنَ صَدَقَةُ بالعِصيان خوفاً منه لِمَا بَلَغَه من إفساد شِحْنةِ بغداد وعميدِها حالَهُ معه، ولم يَزَلِ السُّلْطان مقيماً ببغداد إلى العشرين من شهر رجب، فاجتمع تقدير ثلاثين ألف فارس، واجتمع مع صدقة مِقْدار

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) البثق: كسرك شط النهر لينشق الماء، «اللسان» (بثق)، ريفانيا هكذا استظهرتها، وفي «الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٢٩٨ زرفيمياء، ولعله محرف عن زرفانية، وهي قرية كبيرة غربي دجلة قرب النعمانية، ويقال لها زرفامية، انظر «معجم البلدان» ٣/ ١٢٤، ١٣٧ .

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي «المنتظم» أنا تاج الملوك.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

وفي (م) و(ش): وروي أن صدقة كان بينه وبينهما ـ يعني عسكر أحمديل ـ أنهار وسواحل (كذا) قلت: وسيأتي نحو هذه العبارة في الأسطر التالية نقلاً عن ابن القلانسي.

عشرين ألفاً في الحِلَّة، وبينهما أنهارٌ ومواحل[١]، فآثَرَ السُّلْطان مصالحته، والصَّفحَ عنه، وإيقاع موادعته، فأبى ذلك كافَّةُ الأمراء والمُقَدَّمين، ونهضُوا إليه، فلما عَرَفَ ذلك قَطَعَ الأنهار، ووَصَلَ في جَمْعِهِ حتى صار بإزائهم، وكان منزله كثيرَ الوَحَلِ، عَسِرَ المجالِ، فَتَرَجَّل الأتراكُ عن خيولهم، وجَثَوا على رُكَبِهِمْ، وأطلقوا السِّهام، فانهزمَ أصحابُ صَدَقة، وركب التُّرك أكتافهم، وقتلوا منهم خَلقاً كثيراً، وقتِلَ صدقة في الجُملة، ووجوه رجاله، ولم يُفْلت منهم إلا اليسير، وكان السُّلْطان قد اعتمد في ترتيب الجيش على الأَمير مودود المستشهد بيد الباطنية بجامع دمشق، ووصل السُّلْطان من غَدِ يوم الوقعة، ونَزَلَ الحِلَّة.

ولم يكن في العرب مِثْل صَدَقة في البيت والتَّقدُّم والإحسان، وحُسْنِ السِّيرة، والإنصاف والكَرَم، وجزيلِ العطاء، وشِدَّةِ الوفاء، والصَّفح عن الكبائر، والتَّعَفُّفِ عن أموال الرَّعية، إلاَ أنه كان مع هذه المآثر مُطَّرِحاً لفرائض الشّريعة، متغافلاً عن ارتكاب المحارم الشنيعة، مُسْتحسناً لِسَبِّ الصَّحابة رضي الله عنهم، فكان ما نَزَلَ به عاقبةَ ذلك[٢].

ثم إنَّ السُّلْطان أطْلَقَ ولدَه دُبَيْساً، واستَحْلَفَه على الإخلاص والطّاعة.

السنة الثَّانية وخمس مئة

[و][٣] فيها فَوَّضَ السُّلْطان محمد إلى بِهْرُوز الخادم عِمارةَ العراق، فشَرَعَ في تتمَّةِ جامعِ السُّلْطان، وحَفْرِ الأنهار، وكِرَاءِ[٤] السَّواقي، فَعَمَّ الرُّخْصُ [العراق][٥]، وبنى [بهروز الخادم][٥] رِباطاً للصُّوفية قريباً من النِّظامية، وهو قائِمٌ إلى الآن[٦].

وبعَثَ الخليفةُ إلى أَصبهان، فاستدعى أبا القاسم عليَّ بنَ جَهِير، وولَّاه الوِزَارة، وعَزَلَ ابنَ المُطَّلب في شعبان[٧].

---

(١) في النسخ الخطية: وسواحل، وهو تحريف، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق».

(٢) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، وانظر «الكامل»: ١٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي حفرها وإخراج طينها. «اللسان» (كري).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٩.

(٧) انظر المصدر السالف.